هموم الوحدة

نبيل علي صالح

تمهيد عام:

تواجه أُمّتنا الإسلامية في العصر الراهن تحديات مصيرية جمة، تختزن ـ في كلّ مضمونها وحركتها الداخلية ـ أبعاداً وأهدافاً تخريبية عنصرية، تتحرّك ـ في حسابات الواقع ـ من خلال مخطط استكباري عالمي ينظم حركتها، وينسق مواقفها، ويجسّد مطامعها في تحقيق مزيد من حالات السيطرة والاستغلال عبر أساليب همجية بعيدة كلّ البعد عن أدنى حالات التخلّق بالقيم الإنسانية، ومبادئ حقوق الإنسان في العيش الآمن المستقر، وطبيعة الهدف التكاملي الأعلى للإنسان في حركة الحياة.

ويمكننا ـ في هذا المجال ـ ملاحقة هذه التوجّهات العامة، ودراسة إرهاصاتها، ونوعية أهدافها في الواقع العالمي الجديد، من خلال معرفة كيفية تحرّك مساراتها في داخل حياتنا ونسيجنا السياسي والاجتماعي ، حيث يصرّ منتجوها ـ كما يظهر ـ على تكريس حاكمية الاستعمار الحديث المستكبر، في فرض سيطرته المطلقة

على حركة الشعوب الإنسانية المستضعفة في شتّى بقاع المعمورة، وفي جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتّى الفكرية والإعلامية.

ونحن لا نريد أن نُتَّهم بالتجنّي على الغرب أو الدخول في متاهات العقدة النفسية والفكرية تجاه السلوكية الغربية ـ كما يحلو للبعض أن ينسب إلينا ذلك ـ لأنّ المسألة ترتبط ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بالواقع المتعثّر والمفكّك الذي خُلقنا فيه، ونتحرّك ضمنه، ونتنفّس هواءه، ونعايشه بكلّ معطياته، وعناصره، ومقوّمات وجوده الداخلية والخارجية التي تتصل بقضايا وإشكاليات هامّة وخطيرة على مستوى علاقة الإنسان بحركة الأبعاد الفكرية والسياسية والاجتماعية في ضمن أجواء ومناخات العمل الحضاري الراهن.

ويكاد هذا الواقع العالمي الجديد يُجْمِع بكليته ـ من خلال سلوكيته وأدائه، وإنْ لم يعلن ذلك رسمياً ـ على أنّ هناك تحرّكات وفعاليات منظمة ودقيقة يقوم بها الاستكبار والكفر العالمي لتأكيد خطّه الحضاري الذي يتوافق مع مصالحه في استمرارية جَعْل المنطقة العربية والإسلامية عموماً دائرةً لنفوذه وسيطرته، ومجالاً حيوياً لتنفيذ مخطّطاته ومؤمراته ومصالحه، بهدف تطويق الأمّة، ومواجهة إسلامها الحركي الفاعل الذي يشعرون بأنّه أصبح يمثّل خطراً داهماً على مصالحهم الاستكبارية في العالم كلّه؛ ولهذا فإنّهم يواجهونه بكل الوسائل التعسفية على جميع المستويات والأصعدة. ونستطيع أن نتلمس واقعياً آثار هذا المخطط، وامتداداته العملية من خلال متابعة الأحداث، التي جرت وتجري الآن في العالم الإسلامي الذي حوّلوه إلى بؤرة للتوتر والانفجار[1].

إنها مشاكلنا نحن كمسلمين، حُوربنا في وجودنا الفكري والعقائدي، وفقدنا شعورنا الواعي والأصيل بهويتنا وانتمائنا الديني الحضاري، وتغرّبنا عن واقعنا تائهين في سراديب العالم وأنفاقه المظلمة، نلتقط فكرة هنا وأُخرى هناك، عسى أن تساهم في حلّ مشاكلنا التي استعصت علينا، والحلّ كائن ـ أصلاً ـ

بين ظهرانينا. لقد أصبحنا فرقاً وشِيَعاً يكفّر بعضنا بعضاً وينافق بعضنا على بعض آخر، ويحاول كلّ فريق منّا أن يبحث عن عقد الفريق الآخر، وهو يحمل في ذاته أكثر من عقدة، فقط من أجل النيل منه، أو تسجيل نقطة لصالح هذا الطرف أو ذاك.

أجل لقد انطلقنا نحو الزوايا المظلمة والضيّقة ، وابتعدنا ـ في سلوكنا الذاتي والاجتماعي، وأساليب ممارستنا لأجواء وأبعاد الواقع المختلفة ـ عن ساحة اللقاء والتواصل، والحوار الهادئ والواعي والمنفتح على الله تعالى بقلوب صافية وعقول واعية من أجل نيل رضاه، وإعلاء كلمته. ولعل الأمر الذي يدعونا ـ أكثر من أي وقت مضى ـ إلى تعميق أواصر الوحدة، والمحبة، والتعاون، والتضامن ورص الصفوف، هو وجود كلّ تلك المشاكل والعقبات المتأصلة في نفوسنا وواقعنا (وهي في أغلبها مضخّمة، ومصطنعة، ومطبوخة في دوائر المخابرات والأمن الإقليمي والدولي). حيث نجد أنها تعيق مسار حركتنا باتجاه الله أوّلاً، ومن ثم باتجاه وحدتنا الإسلامية ثانياً. ونحن ـ حقيقةً ـ المعنيين والمستهدفين بها أوّلاً وأخيراً؛ لأنها وُجدتْ وانطلقت في فكرنا وعاطفتنا وواقعنا، ولا نجد أن هناك إمكانية لحلّها والتخلّص من أجوائها السلبية الضاغطة، إلّا بتعميق الشعور بالتقريب الروحي والفكري بين المسلمين ، ومن ثم السعي الحثيث الصادق والمخلص على طريق تحقيق وحدتنا الإسلامية المنفتحة والواعية والواقعية. ولكن ما هي هذه الوحدة؟! وكيف السبيل إلى تمثُّل هذا الهدف السامي والعظيم؟! ومن ثم كيف يمكننا تَفَهُّم حقيقة بواعث ونتائج تلك الوحدة على ضوء القرآن الكريم والسنّة الشريفة؟! وما علاقتها بقضية النهضة الإسلامية المنشودة؟ هل هي مجرّد دعوات وصيحات حماسية انفعالية نُطلِقها في الهواء ليحلم بها الإنسان المسلم كملجإ يفرّ إليه هارباً من تعقيدات الواقع، ومشكلات الحياة، وضبابية الأهداف فيها، أم أنها مخدّر روحي يبعث في النفس راحة وطمأنينة لبعض الوقت كملاذ يعيش فيه مجتمعنا

وإنساننا ازدواجية الشخصية الروحية والسلوكية؟

إنّ العناوين القادمة تحاول رصد إجابات واقعية هادئة وعقلانية عن ذلك كله، من خلال متابعة الهدف الكبير في إطار الواقع الحي، في مواقع السمو والرفعة بطريقة متوازنة بعيدة عن أجواء العاطفة الانفعالية، والحماس اللاعقلاني المنطلِق كردّة فعل على واقع التخلّف والتجزئة الذي نعايشه في عصرنا الراهن.

الوحدة الإسلامية على ضوء القرآن والسنّة:

أبدى القرآن اهتماماً بالغاً وملحوظاً بقضية الوحدة وإشكالية التقريب بين مذاهب المسلمين، ودعا إلى بذل كلّ الطاقات والجهود الممكنة على هذا الطريق من أجل الوصول إلى الواقع الوحدوي الإسلامي، فيما يعطيه من عوامل متعدّدة تتحرّك في مفردات الحياة من موقع القوّة الحركية في الفكر والوجدان والعاطفة، بهدف تحصين الأُمة الإسلامية من عوامل الانهيار والانقسام والتفكّك الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والفكري، وإعادة حضارتها الشاملة، وثقافتها الإنسانية الرسالية الغنية إلى الساحة العالمية.

ويمكن أن نقرأ في صفحات كتاب الله العظيم الآيات التالية التي تشكّل ـ بحدّ ذاتها ـ عناصر وحدوية فعّالة، وأُسساً راسخة في عملية الدعوة إلى بناء فكر واحد، وعاطفة واحدة، وشعور واحد، يمكن أن تنطلق ـ في كلّ زمان ـ دعوةً في المطلق، تحتاج ـ فيما تحتاج ـ إلى إنزالها ، بوعي، حركةً وممارسةً نسبيةً على أرض الواقع المحدود ـ المثقل بالهموم والانكسارات والانقسامات والتراجعات ـ لتشييد الدولة الإسلامية الواحدة في مستقبل الدعوة:

● قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبلالله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**...﴾[٢].

تُحدّثنا الآية الكريمة السابقة عن عمق هدف الوحدة من خلال إظهارها لنتائج الوحدة وآثار التفكّك والتفرقة، فالمجتمع الجاهلي ـ وكلمة جاهلية

تتحرّك في كلّ زمن يبتعد فيه الإنسان عن الله ـ كان يحمل بين طيّاته عوامل الضياع والانقسام والتشرذم إلى عصبيات قبلية، وعقد طائفية، وعاطفة ساذجة ممزوجة بالحقد والبغضاء، بينما كانت الحالة مختلفة تماماً في ظلّ الدولة الإسلامية الواحدة التي عَمِلت على تجسيد أهداف الوحدة، وتمثّلت ـ بعمق ووعي ـ دعوتها الوحدوية المبنية على المحبة، والمودة، وروح التعاون والوفاق والأخوة والإلفة فيما هي الوحدة في العاطفة والوجدان، وفيما هي الوحدة في الفكر الواحد أيضاً، حيث لَمَّتْ الدعوة الوحدوية الإسلامية شَعْثهم، وجمعت كلمتهم، ووحّدت صفوفهم فكراً وروحاً، قلباً وقالباً، ونسفت من الجذور المناخات الجاهلية بكلّ موروثاتها وتبعاتها السلبية. ونستطيع أن نفهم من خلال كلمة «الاعتصام» بحبل الله تعالى معنى الالتزام بنهج القرآن كقاعدة صلبة متماسكة للوحدة المنطلقة من عوامل الوحدة الفكرية والعملية بعيداً عن كلّ الإثارات العائلية، والقومية، والإقليمية المصطنعة والمستغرقة في الذاتية والانفعالية والأنانية.

يقول الشيخ محمد عبده، في تفسير المنار، معلّقاً على الآية السابقة: «.. في كلمة الاعتصام المشتقّة من كلمة العصمة، توجد نقطة مهمة وجميلة جدّاً وهي أنه سبحانه كأنما يريد أن يقول: إنّ أساس هذا الاعتصام يتهيّأ عن طريق التمسّك (بحبل الله) وهو نفسه الشريعة الإلهية، وبعبارة أُخرى الكتاب السماوي[٣].

إذاً يمثّل الاعتصام بحبل الله القاعدة الصلبة التي يمكن للمسلمين أنْ يرتكزوا عليها من أجل توحيد المسيرة، وتوحيد الهدف في نطاق توحيد الأُمة، وذلك في إطار التخطيط الواعي الذي يتجاوز السلبيات والإيجابيات، ويقف مع السلبيات وقفة فكر لا عاطفة، ويعتبر أن وضوح الرؤيا لدى أية جهة لا يعني وضوحها لدى الآخرين ممّا يستدعي مزيداً من العمل والصبر والتحمُّل في سبيل الوصول إلى وحدة الرؤية للأشياء والمواقف في اتجاه وحدة الهدف الكبير، وذلك هو ما يبعدنا عن متاهات النظرات والتحليلات التي

يثيرها الآخرون في أجواء غير إسلامية ممّا استحدثوه واستنتجوه من تجارب ذاتية أو أهواء منحرفة(٤).

● قوله تعالى: ﴿**إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنّما أمرهم إلى الله ثمّ ينبئهم بما كانوا يفعلون**﴾(٥).

تستنكر الآية السابقة إثارة الخلافات والنزاعات المنحرفة، وتدين ـ في الوقت نفسه ـ عناصر الضعف والتباعد والتفرقة في كلّ زمان، ويتبرأ فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أُولئك الذين حملوا راية الفتنة، وحاولوا تحجيم دور الإسلام الرسالي في الحياة، ومن خلال إضعاف وحدته وبثّ الفتن والاضطرابات ، وزرع الأحقاد داخل المجتمع الواحد.

● قوله تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾(٦).

يأمرنا الله تعالى في هذه الآية المباركة بلزوم الوحدة، والابتعاد عن الأجواء الخانقة والضيّقة التي تثير الخصومات، وتؤجج الصراعات والمنازعات بين أفراد المجتمع؛ لأنها تنطلق من الأفكار الذاتية المنحرفة والخاضعة لسلوكية النوازع الشخصية، الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف حركة الإنسان والرسالة في الواقع في خط وحدة الكلمة والصف والموقع.

● قوله تعالى: ﴿**إنّ هذه أُمّتكم أُمّة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون**﴾(٧).

﴿**إنّ هذه أُمّتكم أُمة واحدة وأنا ربّكم فاتقون**﴾(٨).

في هذه الحالة الإنسانية النفسية الرائعة، ومن خلال هذا المناخ الروحي المنفتح، تنطلق الآيتان على طريق الإنسانية الموحدة بهدف حثّنا على ضرورة أن نكون أُمّة واحدة في الفكر والشعور والهدف من خلال وحدتنا في عبودية الخالق الواحد العظيم.. لنتحرك في الدائرة الإنسانية ـ بعد تَوَحُّدِنا في الدائرة الإسلامية ـ على طريق التوحيد والشريعة، بعيداً عن الانغلاق والتقوقع والتعصب، وبالتالي الانفتاح على الآفاق الإنسانية الرحبة من موقع رسالتنا وفكرنا ومبادئنا الإسلامية الرفيعة.. فالوحدة الإسلامية إذاً أمر إلهي علينا أن نصدع له بالانفتاح بعضنا علىٰ بعض

في مواقع كلٍّ منّا في الإسلام، وتعميق أواصر الاخوة واللحمة بيننا؛ لتشرق من جديد شمس الأُمة الإسلامية الواحدة فكراً وروحاً، وذلك بالابتعاد عن مواطن الفرقة ، وتجاوز العقد الذاتية من خلال العمل على ترسيخ النظرة الكلية الواعية المنطلقة في وعينا على أساس القواسم المشتركة الكبيرة القائمة ـ بالدرجة الأُولى ـ على وحدة الخالق والشعور بعظمته، وهذا ما نحسّ به من قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾[٩]. إننا نتصوّر أن التحرّك على طريق تمثّل وتجسيد قيم ومبادئ القدوة الحسنة لا يتمّ إلّا بالتأسيس لعناصرها القاعدية الأساسية في شتّى الحقول والميادين الحياتية والاجتماعية، ومن أولويات وبديهيات ذلك، مسألة الوحدة العملية.. هذا ما بدأه عملياً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والائمة الأطهار عليهم السلام من خلال السعي الى تقوية ركائزها، وتوثيق عُراها وأركانها بين المسلمين جميعاً.

أولاً ـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داعية الوحدة:

يمثّل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المحور المركزي الواعي في حركة الرسالة الإسلامية، في ذهنية الأُمّة الإسلامية، بغضّ النظر عن طريقة الارتباط بهذه «الشخصية ـ الرمز» التي سعت منذ البداية ـ من خلال قوّة وعنفوان ووعي فكرها الرسالي ـ إلى نسف جذور المجتمع الجاهلي الذي كان يتحرّك في دائرة العصبيات القبلية والعشائرية والنعرات الطائفية المعقّدة.. يقول صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ الله تبارك وتعالىٰ قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها.. ألا إنّ الناس من آدم، وآدم من تراب، وأكرمهم عند الله أتقاهم»**[١٠].

وقد كانت السيرة النبوية الشريفة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مليئة بنماذج وحدوية هامّة، وأعتقد أنّ قصة رفع الحجر المعروفة بالنسبة إلينا جميعاً، مَثّلتْ درساً عملياً بليغاً أراده الرسول لنا كي يفهم الناس ـ على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم ـ أن الوحدة قوّة والفرقة ضعف. مع ضرورة التزام

القيادة الشرعية العادلة والواعية وهكذا كانت معركة بدر التي انتصر فيها جيش المسلمين ـ بقلّته القليلة المؤمنة بـالله ـ على جيش المشركين بكثرته الغالبة في الكـم والضـعيفة في الكـيف والنـوعية والروحية. وكـذلك كـان الأمـر نـفسه بالنسبة لفتح مكة، وغيرها من النماذج الوحدوية الرائدة في تاريخ الإسلام، التي أراد من خلالها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يـبني في وعي الناس فكراً وحـدوياً رسـالياً يرتبط بالله الخـالق الواحـد، والقـرآن الواحد، والرسول الواحد، ويـذوب في الرسالة الإسلامية ليرتفع بهم جميعاً إلى مسـتوى القـيادة الحكـيمة للإنسـانية جمـعاء في خـط العـدل والتـقوى والاستقامة. هذا ما نقرأه في خـطابات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«المسـلم للـمسلم كـالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً»(١١).

«مَـثَلُ المسـلمين فـي تـوادّهـم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسـد إذا اشتكى منه عـضو تـداعـى له سـائر الجسد بالسهر والحمى»(١٢).

«.. المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمّتهم أدناهم وهم يدٌ عـلى من سواهم»(١٣).

ثانياً: أهل البيت عليهم السلام وحدة الإسلام في حركية الهدف:

حرص أهل البيت عليهم السلام جميعاً عـلى وحدة وعـزّة الأُمّـة، ودعـوا إلى إزالة عوامل التناقض والتـباعد والخـلافات بين أهلها إعلاءً لراية الحـق والإسـلام وكلمة الله، وهذا ما يمكـن مـتابعته في حركة الدعوة في خط الإمام عـلي عليه السلام ومواقـفه الإيجـابية التي لا تُـنسى مـع الخلفاء الذين سبقوه في الحكم..

قوله عليه السلام يوم السقيفة: **«سلامة الدين أحبّ إلينا»**.

وقوله عليه السلام: **«والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين...»**.

وقوله عليه السلام أيضاً في خطاب تحذيري إلى قوم من أهل العراق كانوا يسـبّون أهل الشام: **«إني أكره لكم أن تكـونوا سـبابين، ولكـن لو وصـفتم أفـعالهم وذكرتم حالهم لكان أصوب في القول، وأصدق في الحجّة، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: ربّـنا أحـقن دمـاءنا ودمـاءهم، واصلح ذات بيننا وبـينهم، واهـدهم**

من ضلالتهم حتّى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به..».

اما الإمام الحسين عليه السلام فقد نهض في عاشوراء الإسلام، وانطلق بوعي وثبات من موقع الإيمان بضرورة الحفاظ على وحدة الصف الإسلامي، وتحصينه من الطائفية والعصبيات العشائرية، محاولاً إعادة الأُمّة إلى حالة الوعي والنقاء الذي كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ومصحّحاً مسيرة النهج الإسلامي الأصيل والرافض لقيم الجاهلية والطغيان والاستكبار والتمرّد على قيم الله ومبادئ الإسلام.

يقول عليه السلام : «**إنّي لم أخرج أشِراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في دين جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي** صلى الله عليه وآله وسلم ...»(١٤).

لقد كانت كربلاء محطّة وحدوية إسلامية في وعي الأُمّة؛ لأنها وضعت وحدة المجتمع والأُمة الإسلامية هدفاً لها، كما وكانت ـ في الوقت ذاته ـ قفزة نوعية رائدة في الفكر والوجدان حاولت ، وقد نجحت في محاولتها تلك، أن تؤسس قواعد راسخة للحياة الحرّة الكريمة في خط العدالة الإنسانية. ولولا هذه «النهضة ـ الثورة» لما كان بإمكاننا أن نشهد تلك التغيرات الكمية والكيفية المتنوّعة التي ظهرت على مسرح الأحداث في العصور اللاحقة.

أما الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيقول في حديثٍ معبّر له عن معاملة الشيعة لبقية المسلمين: «**صلّوا في جماعتهم، وعودوا مرضاهم، واحضروا جنائزهم أو موتاهم، حتى يقولوا: رحم الله جعفر بن محمد فلقد أدّب أصحابه. كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا..**».

واقع الوحدة الإسلامية

لاشك بأنّ للوحدة الإسلامية دوراً كبيراً في الحفاظ على المقدّسات الإسلامية، وممارسة الشعائر المرتبطة بها والمعبّرة عن امتداد معاييرها وقيمها إلى ساحة الحياة كلّها. ومن الطبيعي أن يكون العامل الوحدوي ـ في هذا السياق ـ عامل قوّة ووقاية وأمن

للإسلام ببعديه الروحي والمفاهيمي، ومدى ارتباط ـ كلا البعدين ـ بالمقدّسات الإسلامية، على أساس فهم معنى الوحدة، ودراسة سُبل إنجازها، ووعيها في واقع المسلمين حاضراً ومستقبلاً.

ومن المهم جدّاً ـ بالنسبة لقضية الوحدة الإسلامية، في إطار وعي معنى الدفاع والجهاد ـ أن نعي حقيقة أساسية مفادها أن هذه المقدسات، التي تمثّل عنواناً إسلامياً بارزاً، هي في الأساس من أهم العوامل الوحدوية القوية التي يجب ممارستها والسعي لإنجازها، والعمل على إطلاق سراحها من السجون الطائفية والمذهبية التاريخية المختنقة والمغلقة إلى ساحة الحياة الواسعة، لتتنفّس الهواء الطلق، ولتكون عملية التزامها ـ في إطار الحياة ـ واعية وعاقلة وصلبة في وجه المخططات التآمرية والتحديات المصيرية التي تواجهها أُمّتنا في الوقت الحاضر.

لذلك فإن من واجب المثقفين والدعاة الإسلاميين أن يتحرّكوا بوعي عميق على الطريق الذي يبرز أهمية الوحدة، وضرورة تعميقها في الذهنية الإسلامية عموماً، لكونها وسيلتنا الوحيدة للحفاظ على مقدّساتنا وقيمنا وشعائرنا التي يحاك ضدّها ـ خصوصاً عندما يتمّ تفسيرها، كما هي في واقعها الأصيل، في خط العدل والقوة والمساواة ورفض الظلم والتبعية والاستلاب والذوبان في الآخر ـ مخطط استكباري همجي ، تمثّل بولادة الغدّة السرطانية «اسرائيل» في قلب العالم الإسلامي، من أجل ابتلاع أولى القبلتين وثالث الحرمين (مبتدى المعراج ومنتهى الاسراء ـ القدس الشريف) وخلق أجواء التوتر والخلافات في هذه المنطقة بالذات بغية السيطرة على الطاقات، والإمكانيات الطبيعية والبشرية الموجودة في العالم الإسلامي.

من هنا نؤكّد مرّة أُخرى على أهمية وحدتنا في هذا الظرف العصيب من حياة أُمّتنا، الذي يراد له أن يكون ظرفاً استكبارياً عالمياً بامتياز على أساس منطق القوّة والتفرّد والهيمنة المطلقة. وقد لاحظنا مدى القدرة التي يمتلكها الاستكبار العالمي في الوصول إلى

مطامعه ومصالحه عن طريق بثّ التفرقة، والضعف، والشّقاق في الصف الإسلامي مرّات كثيرة جدّاً بالرغم من السلبيات ونقاط الضعف الموجودة في داخله (في داخل قوى الاستكبار).

لذلك يجب علينا أن نستوعب التطوّرات العلمية «الجديدة ـ القديمة»، ونتفهم واقعنا جيداً، وندرك تمام الإدراك أن الاستعمار ـ الذي جزّأ أُمّتنا الإسلامية الواحدة، وفكّك قوّتها، وحولها إلى شراذم وعشائر وقبائل متناحرة، وسيطر على معظم مقدّراتها في الأرض والفضاء وفي السياسة والاقتصاد، ورَبطها معه باتفاقيات ومعاهدات منفصلة ووثيقة ـ يريد الآن أن يضمنَ استمرارية تحكّمه بوجودنا وحريتنا، وهيمنته علينا من خلال قيامه بمسخ الشخصية الإسلامية، وإلغاء الانتماء الرسالي الإسلامي بالالتفاف على المقدّسات والمبادئ والشعائر الإسلامية في كل مكان، وتفسيرها بما يتناسب وتحقيق تلك المصالح. ولا حل كائن في الواقع إلّا بالوحدة، وزرع ركائزها ومقوّماتها في النفوس قبل النصوص؛ لأنّها تشكّل الضمانة الحقيقية للإطار القيمي وأنساقه الحضارية التي تحفظ ـ من خلالها ـ حُرْمة مقدّساتنا، ونأمن لشعائرنا الإلهية أن تنطلق في الخط العام قوّة وحركة مستمرّة.

لهذا كلّه ولغيره آمنت الجمهورية الإسلامية في إيران ـ منذ بداية تفجّر ثورتها الإسلامية العالمية بقيادة الإمام الخميني الراحل ﷺ ـ بأهمّية الوحدة ـ وبالحلّ الإسلامي لجميع قضايا المسلمين في العالم، وبخاصة القضية الأساس (فلسطين ـ القدس) من خلال دعوتها إلى وحدة إسلامية مدروسة وواعية. وقد عبّر الإمام الخميني عن هذا الموقف العملي، وصرّح به في جميع مواقفه وأفعاله الشجاعة الجريئة والحكيمة.. من خلال ما يلي:

● تقوية العلاقات وأواصر الاخوّة الإسلامية بين جميع المسلمين، وتوثيق عرى الصف الداخلي عبر انفتاح كلّ فريق (السنّة والشيعة) على الفريق الآخر.. وما اهتمام الإمام الخميني بأداء فريضة الحج ـ التي تجتمع فيها كلّ الفرق والمذاهب الإسلاميّة ـ بصورتها

الإبراهيميّة التي ترتكز على الوحدة بين المسلمين والبراءة من أعدائهم وأعداء الإنسانيّة إلا دليل عملي واعٍ تتّصف به الثورة الإسلاميّة علىٰ أدائها الوحدوي وبعدها عن التفرقة والتشرذم.. يقول الإمام: «إنّ إحدىٰ الفلسفات الإجتماعيّة لهذا التجمّع العظيم من جميع أنحاء العالم هو توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبيّ الإسلام، أتباع القرآن الكريم في مقابل طواغيت العالم..»[١٥]. ونحن عندما نقرأ الإمام الخميني في واقع النهضة الإسلامية في إيران، لا نرى فيه إلّا قائداً إسلامياً عامّاً نذر نفسه لخدمة الإسلام، ووضع طاقاته ومواهبه كلّها تحت تصرّف المسلمين جميعاً.. فها هو يقول ـ وقد حوّل قوله هذا إلى فعل واقعي ـ عند افتتاحه اجتماعاً لطلّاب المدارس العالية: «لقد جئت إلى هذا المكان لأعرض خدمتي عليكم، فأنا خادمكم جميعاً ما دمت حيّاً، أنا في خدمة الشعوب الإسلامية»[١٦].

ويقول قدس سره: «كلّنا إخوة، وكلّنا نعيش قلباً واحداً، غاية الأمر أن الحنفي يعمل بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعي، وثمّة مجموعة أخرى هي الشيعة، تعمل بفتاوى الإمام الصادق عليه السلام، وهذا لايبرّر وجود الاختلافات.. لا ينبغي أن نختلف مع بعضنا، أو أن يكون بيننا تناقض، كلّنا اخوة.. على الاخوة الشيعة والسنّة اجتناب كل اختلاف، فالاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسنة ولا بالشيعة، ولا بالمذهب الحنفي، ولا بسائر الفرق الإسلامية، وهؤلاء يريدون القضاء على هذا وذاك.. فهدفهم بثّ الفرقة بينكم، عليكم أن تنتبهوا جميعاً. إننا جميعاً مسلمون وأتباع القرآن وأهل التوحيد»[١٧].

● الدعوة إلى الوحدة الإسلامية في مستوى الخارج (الاخوة الإسلامية) من أجل الدفاع عن القيم والمقدّسات الإسلامية في وجه الدسائس والمؤامرات.

يقول الإمام الراحل: «إنّ الدعوة إلى الإسلام تعتبر في الحقيقة دعوة إلى الوحدة، وهي تعني أن يكون المسلمون مجتمعين معاً حول كلمة الإسلام..»[١٨].

والواضح أن هذا الخطاب الوحدوي الخميني لم يتغيّر بعد تسلمه للسلطة في

إيران، ولا نجد ـ بالنظر إلى ذلك ـ تمييزاً في التوجّه بالعطاء والدعم إلى عموم المسلمين المستضعفين، بين مرحلتي الثورة والدولة.

فمن مرحلة الثورة يمكن أن نستذكر النصّ التالي الذي يوجّه فيه الإمام﵀ الحديث إلى حكّام إيران آنذاك: «**ليعلم حكّام إيران بأن منهجنا هو الإسلام، وأن رائدنا هو وحدة المسلمين في أرجاء العالم، وإرساء أسس تحالف رصين مع جميع البلدان الإسلامية للوقوف صفّاً واحداً متراصّاً بوجه الصهيونية وإسرائيل وكل الدول الاستعمارية**»(١٩).

أمّا عندما أصبح قائداً للدولة والمجتمع (منطق الدولة) فإننا نسجّل للإمام الخميني قوله التالي الذي يعلن فيه ـ وبوضوح تام ـ وقوف الجمهورية الإسلامية الإيرانية بكل إمكاناتها ومقدّراتها إلى جانب المسلمين في كل مكان: «**إنني أعلنها صراحةً أنّ الجمهورية الإسلامية في إيران توقف إمكاناتها وكلّ جهودها لأجل إحياء الشخصية الإسلامية للمسلمين في كلّ أرجاء المعمورة**»(٢٠).

لقد كان التطبيق العملي لكلمات وأقوال الإمام الراحل هو الأصل الثابت في الموقف الشعبي والرسمي للجمهورية الإسلامية، وهو ما تحكيه عناصر ومكوّنات هذا الخط، بحيث أصبحت مصداقية تجربة التطبيق في سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية تُقاسُ بمدى التزامها (مجتمعاً ودولة) بنهج ومحتوى الخط الخميني، وثوابته الروحية والفكرية الوحدوية الإسلامية. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مجموعة الإجراءات العملية التي اتبعها الإمام﵀ فور انتصار الثورة سنة ١٩٧٩، والتي تدلّ على وعي إيماني عميق وراسخ بقضية الوحدة الإسلامية:

١ ـ مقاطعة الكيان الصهيوني، وتحويل سفارته في طهران إلى سفارة لفلسطين، ومن ثمّ إلى موقع أساسي لعمل المجاهدين الفلسطينيين بعد استسلام عرفات وأتباعه من منظمة التحرير.

٢ ـ تشديد الحصار وتضييق الخناق على الكيان الصهيوني من خلال إقفال أنابيب البترول، التي كانت تضخ النفط

إلى فلسطين المحتلة، مع نسف جميع المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الموقّعة في عهد الشاه البائد.

٣ ـ رفع درجة المواجهة مع إسرائيل إلى حالتها القصوى من خلال دعوته إلى تشكيل جيش العشرين مليون مسلم لتحرير القدس وجميع الأراضي الإسلامية المغتصبة.

٤ ـ الدعم المادي والمعنوي للانتفاضة الباسلة (سابقاً) ولجميع الحركات الإسلامية ـ وغير الإسلامية ـ الثورية التحررية العاملة ضد الكيان الصهيوني وعملائه في كلّ مكان.

٥ ـ إعلان الإمام﵀ ليوم القدس العالمي في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك، ونقرأ قوله: «**إنّ يوم القدس ليس يوم فلسطين فحسب.. بل هو يوم إحياء الإسلام..**».

وقد يثير الكثير من المتابعين لحركة السياسة الإيرانية حالياً بعض الأسئلة (الإشكالية) عن صدقية التوجّهات والسياسات (والنوايا) الإسلامية الراهنة التي دارت (وتدور) حول ضرورة تخلّي الجمهورية الإسلامية عن همومها ومشاغلها خارج الحدود بذريعة التصدّي لأعباء الإعمار، والتفرّغ لمتطلّبات إعادة البناء الحضاري المدني..!

.. ولكنّنا نودّ أن نقول للجميع: بأنّ الإمام الخميني﵀ لم يعطِ تلك الاتجاهات أيّة فرصة لتنمو وتتعملق وتمتدّ داخل ايران، بل قطع الطريق عليها بمجموعة من المواقف المبدئية الثابتة، وحشَدَ لها نصوصاً وأقوالاً متراصة لا تزال موجودة بقوّة في الحركة السياسية الخارجية للجمهورية الإسلامية، بل إنّها تعدّ من أهم الشعارات الوحدوية العملية التي سلكت تعابير وطرقاً أخرى، وإنْ بدا ذلك للكثيرين بأنه تراجع عن أسس وثوابت الثورة الإسلامية، على صعيد حركتها الخارجية الداعمة للعدل والتحرّر والوحدة الإسلامية. يقول﵀ محذّراً المسؤولين في الجمهورية الإسلامية: «**ليعلم المسؤولون أنّ ثورتنا لا تنحصر بحدود ايران، فثورة شعب إيران هي طليعة وفاتحة الثورة الكبرى للعالم الإسلامي**»[٢١]. وعلى هذا المسار

الإسلامي المشرق جاءت مبادرات الإمام الخميني إزاء استمرارية الدعم الكامل للمقاومة الإسلامية الباسلة في جنوب لبنان، ولجميع فصائل وحركات التحرّر الإسلامية في فلسطين المحتلة. وعلى الخط نفسه، ولكن بعنوان وبتعبير آخر، جاءت رسالة الإمام إلى غورباتشوف عام ١٩٨٩، وموقفه من كتاب سلمان رشدي، وغير ذلك من المواقف الإسلامية الصلبة والثابتة، بالرغم من كلّ التحدّيات والأخطار والدسائس، ممّا يعبر عن استمرار نهج العناية والاهتمام الكبير بقضايا وهموم المسلمين، وتخطي الجغرافية الإيرانية.

● البعد الإنساني للوحدة الإسلامية: ويتجلّى ذلك من خلال النظرة الإنسانية العالمية التي انطلقت في خط العدل والحق. ويمكننا، في هذا المجال، قراءة عناوين إنسانية بارزة في خطابات الإمام الراحل قدس سره : «**إنّ ثورتنا إسلامية قبل أن تكون إيرانية.. إنّها ثورة المستضعفين في كلّ أنحاء العالم، قبل أن تتعلّق بمنطقة خاصة**»(٢٢).

هذا وقد ترسّخ الدور الوحدوي الإسلامي الرائد للجمهورية الإسلامية الإيرانية في الوقت الراهن من خلال إقامة المؤتمرات الفكرية الإسلامية، والاحتفالات المختلفة، وتشجيع المبادرات الثقافية ذات الطابع الوحدوي، وتنسيق المواقف والأدوار والآراء، وإعلان اسبوع خاص بالوحدة الإسلامية يتزامن مع ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله . وذلك عمل أوّلي (تمهيدي) يهدف إلى تعميق الوحدة في النفوس. وقد جاء تأسيس مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية ـ ضمن الاتجاه نفسه ـ كلبنة أساسية للعمل الوحدوي المشترك، حيث تمّ وضعه موضع التنفيذ الفعلي، والسعي الجدّي المسؤول نحو بناء وحدة فكرية وثقافية ثمّ سياسية فاقتصادية. والواقع أن الآمال المعقودة على هذا المجمع كبيرة ولاشك، وهذا الأمر يفترض تحرّكاً واعياً ومنسقاً من جميع الدول الإسلامية المستقلّة في أكثر من ستّين دولة، من أجل دعم هذا المشروع الوحدوي المتكامل كخطوة أساسية على طريق الوحدة الإسلامية الكبرى

التي تشكّل بحدّ ذاتها هدف المسلمين جميعاً على هذه البسيطة. والواضح أن هذا المجمع يحتاج إلى دعم كبير باعتباره باعثاً حيوياً لنصرة جميع قضايا المسلمين العادلة في كل مكان. على أساس أننا أصبحنا نشهد اليوم بداية إحداث تكتلات سياسية واقتصادية وعسكرية جديدة على أنقاض التكتلات والأحلاف السابقة.

الوحدة الإسلامية وحقيقة السؤال النهضوي الإسلامي عند الإمام الخميني:

في خطاب له وجّهه إلىٰ حجّاج بيت‌الله الحرام يقول سماحته: «**يا مسلمي العالم، ماذا جرىٰ لكم في صدر الإسلام، علىٰ قلتكم هزمتم القوى العظمىٰ، وحقّقتم وجود الأمة الإسلامية الإنسانيّة الكبرىٰ، وأنتم اليوم تعدّون ما يقارب المليار نسمة وتملكون الثروات الكبيرة، التي تعتبر رأس الحربة وتعانون إلىٰ هذا الحدّ من الضعف والإنسحاق في مقابل الأعداء؟ هل تعلمون أنّ كلّ المصائب التي تعانون منها هي نتيجة التفرّق والاختلاف بين رؤساء بلدانكم وبالتالي فيما بينكم؟..**»[٢٣].

تدفعنا الإمكانات الوحدوية النفسية والشعورية، والطاقات العملية الذاتية ـ التي تختزنها أمّتنا الإسلامية في داخل ذاتها الحضارية، ومنظومتها العقائدية التاريخية، وفي داخل أراضيها الطبيعية ـ إلى إثارة مواجهة الأسئلة الملحة الراهنة عن واقع المسلمين، وأسباب ما هم فيه من تخلّف وتبعية وانقسام. ونبدأ من الأسئلة الأساسية التالية:

لماذا لا يزال المسلمون في شتّى أنحاء العالم خاضعين ورازحين تحت سطوة الحكومات الظالمة المستبدة، والقوى الاستكبارية الكبرى؟! ما هو الحل الموضوعي لهذه «المشكلة ـ العقدة» التي لا تزال تفعل فعلها في كلّ مواقعنا وأوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟! وأين يكمن سرّ قدرة المسلمين في التغلّب على هذه المشاكل المستعصية؟! ثمّ إنّ هناك واقعاً عالمياً جديداً ـ بدأ بالتشكّل بعد سقوط الشيوعية ـ يلزمنا أن نبحث عن دور

لنا في خضم صراعاته، ودوائر عمله السياسي والثقافي والحضاري الآن وفي المستقبل.. فهل نبقى في عزلة وتباعد من خلال أجواء ومناخات التفكّك والتفرقة المسيطرة على واقعنا، على أساس أن لكلّ واحد منّا مشاكله وهمومه الخاصة، أم أن هناك آفاقاً ومنافذ وإمكانات حقيقية يمكننا الالتقاء عليها كمسلمين نطمح إلى مشاركة فعّالة في المسيرة الحضارية العالمية، وممارسة دور رسالي وتبليغي رائد بين أمم العالم كلّه؟!

إننا نعتقد أن تلك الأسئلة الإشكالية الخطيرة تعكس هاجس أمّة بقيت تعيش ـ طوال أجيال متعاقبة ـ على هامش الفعل والانتاج والحياة الحضارية الإنسانية، وهي تبذل الآن قصارى جهدها، وتحاول توظيف واستثمار كلّ طاقاتها ومواردها على طريق إعادة الوعي الذاتي بالإسلام، وصياغة الفعل الإبداعي الهادف الخاص بالحضارة الإسلامية، وبالتالي المساهمة الفاعلة في توليد مجتمع إنساني تسوده قيم العدالة والمحبّة والسلام.

وقد حاول روّاد النهضة والإحياء العربي والإسلامي تقديم بعض الإجابات الفكرية والعملية عن تلك الأسئلة منذ نحو قرنين من الزمن.. ولكنّها قلّة تلك الطروحات والمشاريع الاستنهاضية التي أشارت إلى موضع الخلل، وسبب المعاناة، وأساس الأزمة.

ولعلّ الطرح الفكري الإسلامي الأصيل للإمام الخميني ﷺ ـ المبني على قاعدة الوحدة الإسلامية، ومحاولة بعثها وإيقاظها من جديد بين مذاهب المسلمين جميعاً ـ كان من أبرز التحليلات المعمقة التي ربطت بين الوحدة وبين النهضة.

لقد ركّز النص الوحدوي الخميني ـ في سياق وعيه لإشكاليات وهموم المشروع النهضوي الإسلامي ـ على أنّ هناك مشاكل أساسية لم تأخذ بعد موقعها الصحيح المميّز في الوعي الإسلامي المعاصر، تقف أمام مسيرة الحركة الوحدوية والنهضوية الإسلامية، وتتجلّى في النقاط التالية:

١ ـ انطفاء وركود الطاقة الروحية الكامنة في الذات الإسلامية.

٢ ـ تمركز عقدة الخوف المصطنع (من الآخر) في نفوس المسلمين.

٣ ـ التبعية والاستلاب وفقدان الشعور العملي الملتهب بالهوية الروحية والثقافية.

لقد أدّت تلك العوائق مجتمعة إلى إصابة المسلمين بعقدة الإحساس بالحقارة والدونية بين أمم العالم، الأمر الذي أفضى لاحقاً إلى تكبيل إرادتهم، وشلّهم عن الحركة والعطاء، وبالتالي انكفاء الأمة عن الانتاج والإبداع، بل وحتّى عن مجرّد التأمّل والتفكير بتغيير الأوضاع المتردية القائمة؛ لأنّ بناء الإنسان معنوياً، وتقوية إرادته ووعيه الذاتي بالإسلام، وشعوره العميق بهويته المفقودة ـ مع وجود مشروع هادف ومتكامل البنى والعناصر والإمكانات ـ هو الذي يشكّل القاعدة الصلبة، والمرتكز التكويني الحقيقي لإطلاق وإثارة القدرات الكامنة للإنسان المسلم، وتركيز طاقاته باتجاه الفعل الخارجي المبدع، بعد تحريره من قيود الخوف الوهمي المصطنع والمضخّم في الدوائر الظالمة (محلياً وعالمياً).. وهذا ما يؤكّد عليه إمامنا الخميني قدس سره في نصوص كثيرة تفيض بمعاني النهضة الواعية، وتكشف النقاب عن أهمية ودور الطاقة الروحية الإنسانية في مواجهة تعقيدات الواقع، وأزمات الحياة الإسلامية الراهنة. يقول: «**إن من أعظم الخيانات أن يجعلوا طاقتنا الإنسانية متخلّفة، ويَحُوْلوا دون إصلاحها ونموّها**». وهذه هي مهمّة الإسلام الأساسية في أنه «**يربّي الإنسان ليكون إنساناً في جميع الحالات**»، لأن بناء الإنسان الصالح والواعي من الداخل هو الركيزة الحقيقية لبناء العالم الخارجي.. «**ويمكن لإنسان صالح واحد أن يربّي عالماً بأكمله، ويمكن أن يجرّ إنسان فاسد طالح العالم إلى الفساد**»[٢٤].

والواضح أنّ اكتمال الإنسان السليم لا يتمّ إلّا بالقضاء التام على الشعور المَرَضي بالخوف من الآخر. هذا الخوف الذي لا يزال يتحكّم ويسيطر على نفسية الإنسان المسلم. ونحن نعتقد ـ في هذا الإطار ـ أن أنظمتنا السياسية القائمة ـ التي توزّعت في منطقتنا إثر خريطة سايكس بيكو، ومعاهدات الاستقلال ـ تساهم مساهمة فاعلة في

ممارسة النهج النفسي الضاغط ذاته الذي مارسه الاستعمار قبلها، وأراد من خلاله تحطيم نفسيات الشعوب المستضعفة، وقتل إرادة النهوض والاستقلال والحرية لديها عبر ممارسة أساليب القمع والكبت، واتباع سياسة كمّ الأفواه، وكتم الأنفاس، وملاحقة الصلحاء والمعارضين، وانتهاك كرامات الناس بطريقة منهجية منظّمة.

من هنا جاء تركيز الإمام الخميني في نهضته الوحدوية الرائدة على تحرير الإنسان، وتطهير شعوره من هواجس الخوف، وتأكيده على ضرورة أنّ جهود المخلصين في أي بلد يجب أن تتجه صوب الشعوب وعموم الناس؛ لتهديم مرتكزات الهيبة الزائفة للقوى السلطوية الظالمة المحلية والعالمية، وإعادة الثقة بالذات الإسلامية[٢٥]. يقول الإمام الخميني قدس سره: «**عليكم أن توقظوا أبناء الأمة التي ركزوا في ذهنها خلال سنوات متطاولة عدم إمكان معارضة أمريكا أو الاتحاد السوفيتي (السابق)، ولا زالت هذه الدعاية راسخة في الأذهان.. عليكم أن تُفهموا الجماهير أنّ هذا الأمر ممكن، وخير دليل على ذلك ما وقع في ايران**».

والأمر لا يقف عند حدّ الخوف من الآخر، بل يتكرّس بشكل أكبر وأوسع من خلال عقدة الانبهار الأعمى بكلّ ما هو أجنبي أو بالتحديد «غربي». والاستهانة ـ إلى درجة الاستهزاء المستفز ـ بكلّ ما هو شرقي وعربي أو بالتحديد «إسلامي». وقد تأطرت هذه العقدة في الواقع الإسلامي المعاصر من خلال تأثيراتها السلبية على الوعي، وفي السلوك الاجتماعي والسياسي العربي والإسلامي أيضاً، حيث أدّت إلى إيجاد فصل حادّ وخطير بين القدرة والطاقة التي توافرت عند المسلمين، وبين واقعهم المنقسم والمفكّك من خلال قعود المسلمين أنفسهم عن العمل، وانتظارهم السلبي لكلّ شيء من عالم الغرب، كما وأشاعت ـ تلك العقدة ـ بعض المفاهيم الاستلابية التي عطّلت ممكنات الحركة، وعمّقت الإحساس الجامد بالأمر الواقع الراهن الذي انغرست فيه بقوّة الأنظمة السياسية التغريبية بمختلف اتجاهاتها، وتياراتها،

ومـرجـعياتها الفكـرية التي أوصـلت مسيرة الأمـة إلى الغـايات والأهـداف نفسها التي رغـبت بـتحقيقها الإدارات السياسية الغربية في واقعنا الإسلامي.

وهنا يعبّر الإمام الخميني عن هـذه العـقدة ـ ويـتابع آثـارها النـفسية والسلوكية ـ في نصوص كـثيرة نختـار منها النـص التـالي: «**نسـي المسـلمون الشرقيون مفاخرهم كلّها ودفنوها.. نسبوا كلّ شـيء إلى الغـرب.. نـقلوا إلينـا كـل موضوع من الغرب.. لقد نسينا أنفسنا حقّاً وجلسنا مخلوقاً غريباً في مكاننا!**».

ونقرأ في نصّ آخر للإمـام الراحـل رؤيته الموضوعية الخاصة بتجاوز تلك العـقدة، وضرورة تحـرير المسـلم مـن نتائجها وتراكماتها التاريخية السلبية التي لا تزال تتكدّس بـعضها فـوق بـعض حتّى الآن، وذلك من خلال:

أ ـ تحقيق الانتماء الرسالي الفعّال إلى الدائرة الإسلامية (العودة إلى الذات).

ب ـ التمرّد على الضغوطات الغربية، ووجوب مواجهتها ومقارعتها (بحسب الواقع والإمكانات)[٢٦].

ت ـ تحـقيق الحـسم السـياسي والاجـتماعي الداخـلي (تـغيير أنـظمة التبعية والتغريب).

ث ـ البدء الفوري بإجراءات إحلال النظام الإسلامي كبديل للأنظمة القائمة.

يقول ﷺ : «**يتوجّب على الأشـخاص الموجودين فـي البـلاد الإسـلامية، مـن أولئك المعتقدين بالإسلام الذين تـنبض قلوبهم من أجل شعوبهم، ويريدون خدمة الإسلام، يجب أن ينهض كلّ واحد منهم ببعث شعبه من الداخل لكي تعثر شعوبهم عـلى ذاتـها التـي افـتقدتها، ذلك أنّ الشعوب التي فقدت ذواتها فـقدت فـي الحقيقة بلادها**».

ويبدو أنّ تحقيق الاستقلال الروحي والفكري أولاً ـ كشرط مسبق لتحقيق الاسـتقلال السـياسي والتـنموي والحضاري من خلال العودة إلى الذات، ووعي طبيعة متغيّرات الحياة وتحوّلات الواقـع الداخـلي الذاتي والمـوضوعي ـ يشكّـل عـند إمـامنا الراحل ﷺ المـعادل النفسي البديل الذي يقضي عـلى المحـتوى النـفسي للـعقدة، ويجـهز عـليها، ليـحل محـلّه. أي يحـلّ الاعـتزاز بـالانتماء والهـوية مكـان

الاعتزاز بالغرب والشوق إليه وإلى حمل هويته[٢٧]. على أننا نلاحظ أنّ استعادة الأمة لذاتها وحضارتها لا تقوم في أطروحة الإمام ﷺ على بدائل مفتوحة لا عدّ لها ولا حصر، وإنّما شرط الاستعادة أن تتمّ بالإسلام المحمّدي الأصيل الذي يعتبره إمامنا النظام العقلاني الموضوعي البديل عن أنظمة القهر والظلم والتبعية التي ساهمت ـ بحكم تبعيتها واستلابها وتماهيها مع الذات الاستعمارية الغربية ـ في زيادة حالة الفشل والإفلاس لمشاريعها السياسية والتنموية، وذوبان الهوية، وترسيخ الأنماط التبعية للمركز والمحور الغربي. هذه الظواهر ـ وغيرها مجتمعة ـ عمّقت إحساس الشعوب الإسلامية المستضعفة بالعجز عن التغيير المنشود، وضاعفت من شعورها بضرورة الالتحاق والذوبان الكامل بالغرب كمشروع إنقاذي وحيد.

لقد استطاع الإمام الخميني ﷺ تحقيق نهضة إسلامية راشدة وناضجة، أكسبت الإسلام المعاصر قوّة محرّكة ودافعة باتجاه تجسيد قيم ومبادئ الرسالة الإسلامية على أرض الواقع المعاش، في محاولة جادّة ومسؤولة لإعادة الحياة ، وبثّ الروح في طروحاته الرسالية التي كاد الزمن يضعها طي الكتمان والنسيان. كما وأثبت ـ في الوقت نفسه ـ أنّ الفكر الاجتماعي الإسلامي قادر ـ بل هو المؤهل حصراً ـ على قيادة السفينة إلى شاطئ وبر الأمان؛ لأنه يمتلك ديناميات الحركة والتحول الذاتي الخاص بالدوافع الروحية والعملية لمشاعر وإرادات كلّ العرب والمسلمين على طرق التحرير والتنمية والتحديث.

أجل لقد كان إمامنا الخميني الراحل ـ كما عبّر عن ذلك الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي ـ «الحل والبديل الإسلامي» الحضاري ليس في الفكر والتغيير والثورة فحسب، وإنّما في التقريب والوحدة.

خاتمة البحث

إن المنطق القرآني والعقلاني يفرض علينا أن نسلك طريق الوحدة في الواقع العملي للمسلمين؛ لأنّها تشكّل القاعدة الأساسية في التحرّك الفاعل والمثمر من أجل مواجهة تخلفنا المفروض علينا

(الذي نتحمّل فيه القسط الأوفر من أسبابه ونتائجه) لذلك لابدّ لنا من تهيئة الأجواء المناسبة والظروف الحركية المؤاتية للعمل الوحدوي، بعيداً عن كلّ حالات الفرقة والتنابذ ومحاولة إيقاف تيّار الوحدة.

إننا نجد ضرورة ملحة في مؤازرة ودعم الجهود المضنية الكبيرة التي تبذلها إيران في إطار رغبتها إقامة علاقات وحدوية بين جميع الدول الإسلامية؛ لأنّ الهدف واحد ومشترك وهو لا يختصّ بإيران وحدها، لذلك من المفروض أن تظهر في الواقع العملي ردود أفعال إيجابية واضحة على تلك الدعوات الصريحة ـ الصادرة من أعلى هيئات ومؤسسات الحكم الإسلامي في ايران ـ من قبل جميع الدول العربية والإسلامية كي يتمّ توفير التربة الخصبة والمناخ المناسب لنمو بذرة الوحدة الفكرية والعملية بين المسلمين.

إننا يجب أن نفهم واقعنا جيداً، ونعرف طبيعة متغيّراته وتطوّراته السريعة، وننطلق لنمتلك ـ من خلال وحدتنا ـ كلّ ما يمكن أن يجعلنا قادرين على التحرّك الفعّال لمواجهة هذا الواقع المعقّد والمظلم، ولو اقتضى ذلك أن نعاني من مشكلة الزمان، فلا ضير أن نصل إلى هدف الوحدة المنشود بعد قرن من الزمان، المهم أن نمتلك المبادرة للانطلاقة المؤثّرة والمنتجة، ونبدأ الحركة باتجاه أهدافنا العالية والطموحة من موقع الحوار الإسلامي المنفتح على هدى القرآن وطريقه المستنير، ومن موقع المعرفة الواعية لحقيقة ما يدور في عالم اليوم والغد.

إننا نؤمن إيماناً راسخاً بأنّ الجدران والحواجز التي أقامها الآخرون بين علومهم وتقنيتهم المتطوّرة ـ التي يعود الفضل الأساسي في نموها وإثمارها إلى حضارة العرب والإسلام ـ وبين واقعنا المتخلّف المنقسم، لابدّ من أن نواجهه (بل نقتحمه) بالعمل اليومي الحثيث الصادق في كلّ العناوين والمفردات من خلال الوعي والعلم والعقل وامتلاك أسس التكنولوجيا الحديثة. بالرغم من أنّ ذلك سيصطدم ـ لا محالة ـ بأكثر من مشكلة ومشكلة، لكن الأمر المهم هو البدء الفوري بتحقيق شروط الحسم

الداخلي من أجل بناء الاجتماع السياسي الوحدوي، ثمّ الانطلاق إلى فتح الثغرات في واقع الآخرين؛ لأنّه من غير المعقول أن نبني جداراً على أساس ضعيف وهشّ ومتخلّف يعاني من التبعية والاستلاب للآخر، لاسيّما أن هذا الجدار محكوم عليه بالتعرّض للأهوال والعواصف والزوابع التي يثيرها ضدّه الاستكبار العالمي، وكثير من أصابعه الرجعية في المنطقة.

إننا نعتقد أنّه من الأفضل ـ بالنسبة للحركة الإسلامية، على طريق انجاز وحدتها ـ أن تعمل على إيجاد قنوات فكرية وسياسية وإعلامية يمكن أن تفسح المجال للتنسيق في نطاق خطة مشتركة، أو تصوّر متقارب كوسيلة أولية من وسائل اكتشاف أسس تقاربها ووحدتها مع بعضها في كثير من الطروحات والمناهج والأساليب بحيث تتمثّل أمامها الصورة الإسلامية الصحيحة للمشروع الحضاري الإسلامي العام، مع التنوّع في دائرة الوحدة ، أو الوحدة في خط التنوّع ممّا يسهِّل للوحدة ظروفها الثقافية، ويمهّد الطريق لإنجاز بعض ملامحها العامّة في انتظار تكامل مناخاتها وظروفها النفسية والعملية، والوصول إلى مزيد من التعاطف والتواصل والتلاقي على أكثر من قضية كبيرة وهامة. وقد أثبتت التجربة أن من يبدأ بوعي سيصل إلى مبتغاه مهما كانت الظروف صعبة والأجواء معقّدة . إننا ندعو ـ في هذه الأجواء ـ إلى اعتماد الحوار الجريء الهادئ والموضوعي باعتباره هو القادر على إثارة دفائن العقول في خط الوعي نحو هدف التقريب والوحدة بين المسلمين، كأساس عملي ناهض وقوي لعمل مشترك في كلّ المجالات الحياتية؛ لأن قيمة الحوار ـ في الواقع العملي للمسلمين ـ مؤثرة وضرورية جدّاً من حيث كونه مطهراً لنفوس المسلمين من التباغض، والحقد، والعصبية العمياء، وعملاً فعالاً للتبادل الثقافي والمعرفي كمرحلة أساسية لتعميق وإنضاج مرتكزات الأفكار والمعارف من أجل الوصول إلى النقاط الثابتة المشتركة، وبالتالي الإيمان بالحقيقة الواعية والمستنيرة، طبعاً إذا أخذنا بعين

الاعتبار أنّ هذا الحوار سيكون منطلقاً من خلال ثوابت القرآن الكريم والسنّة الشريفة ومعطيات التاريخ الصحيح من خلال إعادة دراسته بنزاهة وموضوعية بعيدة عن الأهواء النفسية والانفعالية، مع تجاوز الذات، وموضوعية القصد والرؤية والهدف، أي من موقع الفكر لا العاطفة. وهذه الطريقة قد تساهم ـ إلى حدٍّ كبير ـ في بناء وتأسيس وحدتنا النفسية الأولية؛ لأنّها تؤدي إلى الوحدة الفكرية التي هي القلب النابض للوحدة الإسلامية الشاملة، ثمّ العمل على ملاحقة التجارب الوحدوية الأُخرى في مجالات العمل السياسي والاقتصادي.. إلخ، بالرغم من تعقيدات الأوضاع والظروف والمواقف العامّة للمسلمين التي يخلقها الاستكبار العالمي (ونحن نشاركه في ذلك أيضاً) في كلّ لحظة كحجر عثرة في طريق الوحدة الإسلامية المطلوبة. وأود التذكير هنا بأنّ النظرة المثالية لقضية الوحدة ـ التي يحاول أصحابها النظر إلى القضية من المنظار العاطفي في مستوى الفكر والتشريع على أساس النظرة التجزيئية للدائرة الإسلامية ـ لا يمكن أن تحقّق الأهداف والتطلعات الأساسية للمسلمين على طريق إنجاز وحدتهم؛ لأنّ الأمر يتطلّب في الواقع أن ننظر بعمق إلى المستوى الإسلامي ككيان متكامل في الفكر والروح والعمل فيما يمثّله من قاعدة للفكر والحياة والإنسان.

ونحن نجد أنّ النظرة الواقعية لمسألة الوحدة تتمثّل ـ في تحد تعابيرها وتجلّياتها ـ في تلك اللقاءات المتواترة التي تعقد بين القيادة الإسلامية من جهة، وفي وحدة القضايا المصيرية المشتركة والآلام والتحديات القاسية التي تصيب هذا الجسم الإسلامي هنا من جهة ثانية، فيتفاعل معها الجسم الإسلامي هناك.

إننا نجد في ذلك كلّه حركة إيجابية في اتجاه الانفتاح الواعي الواسع على الواقع الإسلامي برمّته، بتعقيداته وأجوائه الباردة والساخنة، على مستوى العاطفة المتفاعلة مع النتائج السلبية والإيجابية، والموقف الحاسم في نصرة الخط والموقع

بطريقة وبأخرى. وربّما نجد، وفي هذا المجال، ضرورةً في أن ننبّه الحركيين الإسلاميين ـ العاملين في طرق الوحدة والتقريب ـ إلى أهمية الاستفادة من هذه الإيجابيات الروحية والفكرية الكبيرة، ومحاولة تعميقها ذهنياً وشعورياً وحركياً لتوسيع مدارات التجربة، والإكثار من نماذجها الحيّة، وإبعاد الأوضاع القلقة والمواقع المضطربة والمهتزة التي تحاول دائماً ـ بفعل عناصر التخلّف والانقسام المزروعة في داخلها ـ التركيز المتواصل على مواطن الخلاف والضعف بدلاً من تركيزها على مواقع اللقاء والتوحُّد والإبداع.

إنّ الزمن يمرّ بسرعة ونحن لا نزال في حالة السكون، وعدوّنا شرس ولعين، وهو يفكّر دائماً ـ دون كلل أو ملل ـ من أجل إحكام سيطرته على مقدّراتنا وثرواتنا الروحية والمادية، وهو المستفيد الوحيد من حالة ضعفنا وتشرذمنا وضياعنا في متاهاته، ودهاليز مفاوضاته. ولا مجال أمامنا البتّة إلّا أن نفكّر بتأسيس القوّة الفكرية والعلمية من خلال وحدتنا، وألا ننهار ـ كما ذكرنا ـ أمام قضية الزمن كحالة تبعث في نفوسنا الملل والسكون والاسترخاء والإذعان للأمر الواقع.

نعم.. من الضروري بالنسبة إلينا جميعاً ـ كعرب ومسلمين ـ أن نسبق الزمن ونصل بسرعة، لكن الأهمّ من ذلك أن نعي طريقة الحركة، وكيفية سلوكها ـ على أرض الواقع ـ بوعي وحذر؛ لأن المسألة تتعلّق بالأرض لا بالسماء، بالواقع لا بالمثال.. وهذا أمر يقتضي تجنّب سياسة القفز فوق الحواجز (التي ستكون حتماً من مصلحة عدوّنا الذي يحرص دائماً على إثارة خلافاتنا بعناوين بارزة وعريضة) وإدارة أزماتنا وهمومنا الصغيرة والكبيرة.

من هنا نستنتج أنّ طريق الوحدة الإسلامية مليء بالأشواك، والحفر الحقيقية والعراقيل المصطنعة والوهمية. من هذا المنطلق لابدّ أن نمارس الأجواء المحيطة بنا ـ التي يجب أن نعمل على جعلها تتحرّك على خط الوحدة الإسلامية ـ فكراً حركياً رسالياً يعتمد

على الحوار العقلاني الواعي، والإيمان بالله تعالى كأساس للعمل من أجل الوصول إلى أهدافنا الكبيرة.

وهذا بدوره يقتضي من الإسلام والمسلمين ـ في مجال الدعوة والحركة والوحدة والجهاد ـ دراسة الواقع المحلي والعالمي ـ في تفاصيله ودقائقه وعناوينه الكبيرة والصغيرة ـ من أجل مواكبة المسيرة الإنسانية في تحريك مفاهيم الإسلام وتصوراته، وشرائعه، وأساليبه الحضارية بحيث لا يقف غريباً عن الذهنية المعاصرة الحديثة، لأنّ علينا ـ في إعلامنا وثقافتنا وسياستنا وتبليغنا الديني ـ أن نفهم أن الذهنية لغة خاصة، تماماً كما هي الكلمات والمفردات الأُخرى، فمن لا يفهم ذهنية العصر، وأجواء الحياة الراهنة، لا يفهم خطابها، ولا يدرك طريقة التفاهم مع أهل هذا الزمن.

من هنا تكون الأولوية في أن نعي ذهنية وروح الواقع العالمي، ونمتلك حسّ المعاصرة؛ لندخل إليه من الباب الواسع والعريض، ليجد إسلامنا ـ في داخل هذا الواقع ـ مكانه وموقعه وامتداده.

وهذه المواكبة أو المسايرة للحياة المعاصرة لا تعني ـ بأي حال من الأحوال ـ أن نتخلّى عن ثقافتنا ووعينا التوحيدي الإسلامي، وشرائط وجوده في الحياة، ولكنها تعني ـ فيما تعني ـ أن نستفيد من الإمكانات والمنافذ المتاحة لنا في الحياة من أجل الدعوة إلى الإسلام النقي والأصيل، والعمل على تعميقه في الذهنية المعاصرة من خلال الأساليب المتوفّرة بين أيدينا، والتي تؤكّد على ضرورة انطلاقتها في خط الدعوة إلى الإسلام في العقيدة والشريعة والمنهج والوسائل والغايات من أجل تثبيت الإسلام في نفوس المسلمين في كلّ بقاع المعمورة، وإطلاقه في حياة غير المسلمين؛ لأنّ الخطورة هنا تكمن في انحسار الإسلام ـ الفكر، والممارسة، والانتماء، والوحدة، والنهضة ـ في الشخصية السليمة بفعل ضغط الأفكار المادية، والقيم الغربية، والمناهج الفكرية المنحرفة التي بدأت تطبق بقوّة على العمق الروحي للإنسان المسلم لتبعده عن عقيدته، وفكره، وقيمه الروحية

والأخلاقية، وخطوطه ومناهجه في السلوك والعمل، وهذا ما يندرج ضمن هدف واحد هو: أن نُطلِق الإسلام في ساحة الحياة الرحبة لتتنفّس معه ـ ومن خلاله ـ الصحو والنقاء والصفاء، في دائرة الضوء، ولا نحبسه في العلبة الطائفية والعشائرية المظلمة والضيّقة، وبذلك نحرّر أنفسنا، وواقعنا، وحاضرنا، ومستقبلنا، وأجواءنا الرسالية من كلّ أغلال وقيود الآخرين وأوهامهم الذاتية، من أجل أن نكون الفكر الخصب المعطاء الذي يمتدّ بقوّة إلى ساحات الحياة والإنسان ليوحي، ويحاور، ويؤسّس للمستقبل المشرق والمضيء، بعيداً عن دهاليز التجريد الحالم والمحلق عالياً في الفضاء في أوهام الخيالات الوردية.

من هذا المنطلق نؤكّد على أنّ الإخلاص للإسلام، وقضية الوحدة، والانفتاح المدروس على الواقع الحاضر وعلى جميع القضايا الكبيرة التي جعلها الله تعالى أمانة في أعناقنا ورضينا نحن بذلك ـ يقتضينا، أولاً وأخيراً، أن نضحّي بكثير من الجوانب المتصلة بأحداث وتواريخ وأوضاع إسلامية ماضية وراهنة.. وقد عشنا هذا الأسلوب مع الإمام علي عليه السلام في وعيه العميق لطبيعة الأجواء السلبية التي ترافقت مع انتقال الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى. حيث يتحدّث الإمام ـ عن تلك المناخات المتوتّرة، وموقفه الرصين منها ـ قائلاً:

«..فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكتُ يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يريدون مَحْقَ دين محمّد صلى الله عليه وآله، فخشيتُ إنْ أنا لم أنصر الإسلام وأهله أنْ أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبةُ به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم هذه، التي إنّما هي متاعُ أيامٍ قلائلٍ يزولُ منها ما زال كما يزول السراب، فنهضت حتى زاحَ الباطل وزهق، واطمأنَّ الدين وتنهنه...».

والواقع أنّ هذه الكلمات ـ وغيرها من المواقف العملية لأهل البيت عليهم السلام جميعاً ـ تبعث في نفوسنا إيجابية التعاطي مع الإسلام كلّه في مواجهة الأخطار الكبيرة التي تقف أمام تقدّم الإسلام والمسلمين حالياً، والتي هي أشدّ وطأة

من التحديات والأخطار التي واجهت الواقع الإسلامي سابقاً.. وذلك هو وحده الذي يفرض علينا الانفتاح بعضنا على بعض (كمسلمين) في الساحة الإسلامية الكبرى؛ لنكون جزءاً من الأُمّة في قضاياها المصيرية الكبيرة، لنلتقي ـ عندما نلتقي ـ من موقع الوعي الذاتي بالإسلام لمصلحة الإسلام، ولنختلف ـ عندما نختلف ـ من موقع الإسلام لمصلحة الإسلام، لنعطي قضية الإسلام كلّ ما عندنا من فكر وحركة وجهاد وإيمان وأصالة، ولنستجيب لنداء الله تعالى: ﴿**إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون**﴾[٢٨].

من هذا المنطلق نقول: بأنّه إذا ما أراد العرب والمسلمون أن يبقوا ـ الآن وفي المستقبل ـ أحياء بالمعنى الروحي والاجتماعي الحضاري فيجب ـ على نهج وخطى وطريق هذه المقاومة ـ أن يسيروا وينتجوا ويبدعوا، وأن يتحرّكوا في الاتجاه نفسه الذي انطلقت وتحرّكت عليه الجمهورية الإسلامية وثورتها بقيادة الإمام الراحل الخميني العظيم قدس سره والسائرين على خطّه المبارك، من حيث وعيها الإسلامي الملتزم والفعّال لقضايا وهموم الواقع الإسلامي المعاصر بتحدّياته ومتغيّراته ومستجدّاته السريعة والمتلاحقة، إضافة إلى تحملها الكبير لمسؤوليات بناء وإنجاز مواقع صمود ومواجهةٍ قوية وفاعلة في وجه تعقيدات هذا الواقع. وأنا أتصوّر ـ في هذا السياق ـ أن من مصلحتنا أن نبادر فوراً إلى فتح المغاليق النفسية والفكرية والسياسية مع هذه الدولة الإسلامية، وبناء علاقات التفاهم والحوار، والتعاون معها على ركائز الأخوّة الإسلامية الحقيقية ـ التي هي المرتكز الهامّ في حياتنا الإسلاميّة ـ بما يقطع الطريق على أعداء الأمة، ويمنعهم من التدخّل السافر ضد هذا الطرف أو ذاك.

إذاً ثمّة خطأ استراتيجي بالنسبة إلينا يجب أن نتداركه من لحظتنا الراهنة، وإلّا فإن استمرار هذه القطيعة وذلك الخطأ الفادح، سيحقّق لأعدائنا وحلفائهم والدائرين في فلكهم مصالحهم في المنطقة من خلال تعزيز

سيطرتهم المباشرة على مقدّرات وثروات الأمة الإسلاميّة، وتوفّر لهم الشرعية بالتحرّك في أجواء ومياه منطقتنا الإسلاميّة.

إننا نقول، توخياً لعدم الإطالة: إنّ إيران ـ بعد انتصار الثورة الإسلاميّة فيها ـ ليست لوحة صعبة ومعقّدة الفهم، ولا يحتاج فهمها إلى كبير جهد، بل يحتاج ـ فيما يحتاج ـ إلى وعي حضاري وإنساني، وإرادة قوية واعية تتحرّك مستقلّة، من دون أخذ الموافقات (الأوامر) من الآخرين أعدائنا وأعداء مبادئنا.

نحن نفهم أن ما يكفي الجمهورية الإسلامية تحضراً، وفخراً، ووعياً حضارياً، ومسؤولية أمام الله تعالى وأمام الأجيال العربية والإسلامية الصاعدة، هي أنّها لا تزال تقف وتساند وتدعم بلا حدود ـ بالرغم من الأطواق الأمنية والاقتصادية والضغوطات السياسية المفروضة، التي استطاعت التغلّب عليها وكسر حلقات عزلتها من خلال ممارسة سياسة الانفتاح والذكاء والوعي السياسي الخارجي ومعرفتها بمشاكل أمّتنا ومايحيطها من مصاعب ومؤامرات وخطط إجراميّة تريد النيل منها بل الإطاحة بها وإلغاء وجودها كأمّةٍ قويّة ذات تأثيرٍ في العلاقات الدوليّة وقادرة على الوقوف على قدميها والنهوض لبناء مستقبلها وحضارتها كما أرادت لها السماء ذلك.

إنّها أمّة جديرة بحمل أمانة السماء وتأديتها خير أداءٍ إذا ما أحسنت إيمانها بعقيدتها الإسلاميّة والتزمت بمبادئها التزاماً قويّاً ولم تخش في ذلك لومة اللائمين، ومؤامرات الحاقدين، ومخطّطاتهم التي ما انفكّوا عنها من أجل تقويض كياننا الإسلامي ووجودنا.

نسأله تعالىٰ أن يمدّنا لتحقيق كلّ ذلك بقوّة وسداد.

الهوامش :

(١) تنطلق هذه المشاكل كلّها في الدائرة الجغرافية الإسلامية، فمن حرب الخليج الأُولى والثانية ، وقضية فلسطين، وتدخّلات الدول الكبرى في الجزائر، إلى مذابح البوسنة والهرسك، ومجازر كوسوفو، وصولاً إلى أفغانستان وأزمات الدول الإسلامية المستقلّة عن الاتحاد السوفيتي السابق. إلخ.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) تفسير المنار للشيخ محمد عبدة ٢: ٢٦، إعداد السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

(٤) سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن ٢: ١٢٩، دار الزهراء، بيروت.

(٥) الأنعام: ١٥٩.

(٦) الأنفال: ٤٦.

(٧) الأنبياء: ٩٢.

(٨) المؤمنون: ٥٢.

(٩) آل عمران: ١١٠.

(١٠) تفسير الوافي: ١٤.

(١١) روح الشهاب: ٧٠، نقلاً عن كتيب: مختارات من الأحاديث النبوية: ٥٧. معاونية الإعلام الإسلامي ـ ايران.

(١٢) م. س: ٧٥٣.

(١٣) أصول الكافي ٢: ٤٠٣.

(١٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤ ـ ٣٠٥، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، وتاريخ ابن الأثير ٣: ٢٨١.

(١٥) الحجّ في كلام الإمام: ٤٠.

(١٦) حديث لسماحته في مدينة قم، تاريخ ٥ / ١١ / ١٩٧٩.

(١٧) من نداء الإمام إلى الشعب في ٢١ / ٧ / ١٩٨٠. حول الوحدة الإسلامية، دراسات وأفكار: ١٥، العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، ايران ١٤٠٤هـ.

(١٨) مختارات من أقوال الإمام ١: ١٧٦.

(١٩) دروس في الجهاد والرفض، نصوص نشرت معربة للإمام الخميني قبل انتصار الثورة: ٩٢.

(٢٠) من بيان للإمام الخميني قدس سره وجّهه بعد يومين من موافقة طهران رسمياً على القرار (٥٩٨) علّل فيه أسباب وبواعث الموافقة، وأوضح المنطلقات الأساسية التي أدّت إلى القبول بذلك القرار الدولي، وقد جاء ذلك ضمن كلمته السنوية الخاصة بالحجّاج. صدرت بتاريخ ٥ ذي‌الحجة ١٤٠٨هـ.

(٢١) من بيان للإمام الخميني أصدره في ١٤ شعبان ١٤٠٩هـ.

(٢٢) نداء الوحدة الإسلامية، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية بدمشق.

(٢٣) الحجّ في كلام الإمام: ٤١.

(٢٤) يراجع هذا النص ـ وما سبقه أو تلاه ـ من نصوص في الكتب التالية:

أ ـ توجيهات الإمام الخميني إلى المسلمين، وزارة الثقافة والإعلام الإسلامي ١٤٠٣هـ، ط ١. ترجمة محمد جواد المهدي.

ب ـ جوانب من أفكار الإمام الخميني، وزارة الثقافة والإعلام الإسلامي، إيران.

ج ـ صحيفة النور.

(٢٥) خالد توفيق، مدخل إلى قضايا المسلمين في نهضة الإمام الخميني، مجلة التوحيد ٩٣: ١٥٩.

(٢٦) هذا لا يعني أبداً، كما فَهِم الكثيرون خطأً (مقصوداً أو غير مقصود) القطيعة الكاملة مع الغرب، إذ ليس هناك ـ في الخطاب الفكري الخميني ـ أيّة إشارة سلبية ضد التقدّم الغربي، أو القيم الإنسانية في الحضارة الغربية. يقول ﷺ: «**إننا نقبل التقدّم الغربي**».

(٢٧) خالد توفيق، م. س: ١٦٥.

(٢٨) الأنبياء: ٩٢.